شكوى أهالي محلة الظاهر بيبرس في دمشق من فساد الأخلاق ١١٦٤هـ/١٧٥١م*

مهند مبيضين*

ملخـص

تحاول هذه الدراسة النظر والتحقيق في وثيقة نادرة تعود ليوم الثلاثاء ٥ شعبان ١١٦٤هـ / ٢٩ حزيران ١٧٥١م، وفيها اشتكى أهالي محلة الملك الظاهر بيبرس لقاضي دمشق من فساد الأخلاق في المحلة المشار إليها. وتنبع أهمية الوثيقة في بيانها لطبيعة الإجراءات التي اتخذت في تلك الحالة، ودور العلماء في هذا النوع من القضايا، والإجراءات التي اتخذت من قبل القاضي، وآراء الأعيان من أصحاب الوظائف الدينية، ممن أسهموا في دعم مطالب أهل المحلة في شكواهم، هذا إلى جانب ما تقدمه الوثيقة من معطيات اجتماعية. وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة.

الكلمات الدالة: محلة الظاهر بيبرس، دمشق، العلماء، الأخلاق.

المقدمة

بالرغم مما تحفل به المصادر التاريخية التي تؤرخ لمدينة دمشق في الحقبة العثمانية، من إشارات كثيرة تدل على فساد الأخلاق وانتشار المعاصي، إلا أنها لا تعبر عن موقف ثابت للحكام منها، وهي لا تكشف عن إجراءات الحد منها، أو تفسر أسباب انتشار المعاصي في مناطق محددة مثل الأسواق، أو بالقرب من بعض المساجد، وفي مجمل الأخبار الواردة في المصادر يطالع القارئ لغة يغلب عليها طابع التحسر والندب على ما أصبحت عليه الحال الاجتماعية آنذاك.

تضم هذه الدراسة ثلاثة أقسام، يتناول الأول منها الموقف العام من فساد الأخلاق في دمشق بالاعتماد على المصادر التاريخية من كتب يوميات وحوادث دمشقية وتراجم وسير، في حين يقدم لنا القسم الثاني وثيقة تاريخية من سجلات المحاكم الشرعية تعود ليوم الثلاثاء ٥ شعبان ١١٦٤هـ/ ٢٩ حزيران١٧٥١م، وفيها شكوى من أهالي محلة الملك الظاهر بيبرس أمام القاضي الشرعي على مجموعة من أهل الفسق والفجورفي تلك المحلة، وفي هذا المبحث يجري تحقيق وتثبيت مفردات الوثيقة، والتعريف بما يرد بها من أسماء أعلام أو أماكن وغيرها...، ويقدم القسم الثالث من الدراسة تحليلا وبيانا لمعطيات الوثيقة.

---

* أستاذ مشارك في التاريخ العربي الحديث / الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث ٢٠١١/٨/١١م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠١١/١٢/١٥م.

أولا: الموقف العام من فساد الأخلاق

وقف المؤرخون الدمشقيون طويلاً أمام انتشار ظاهرة فساد الأخلاق، التي كانت محل استهجان ورفض ونقد لموقف السلطة السياسية منها، وبخاصة فيما يتصل بارتكاب الفواحش والجهر بها من شرب الخمر، وممارسة اللواط، وانتشار بنات الهوى في الأسواق.

ويكشف ابن طولون الصالحي (ت:٩٥٣هـ/١٥٤٦م) بأن لبنات الهوى بيوتاً خاصة بهن؛ إذ يذكر في أحداث شهر جمادى الأولى سنة ٨٨٥هـ/ تموز ١٤٨٠م أنه تم تخريب "..بيوت بنات الخطأ بين جامع التوبة[١] وجامع الجديد[٢]، بعد أن اشتريت القيسارية من ابن الصقر التاجر بمبلغ ثلاثين أشرفية، ثم انتقلت بنات الخطأ إلى جوار المدرسة اليونسية بالشرف الأعلى.. "[٣]

ويمضي ابن طولون في وصف ورصد مظاهر الفساد فيقول في حوادث شهر جمادى الآخرة سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠-١٥٢١م: "وفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة، كُبس على أحد طلبة العلم، وجماعة مع امرأة من بنات الخطأ في بيت بالقنوات وهم سكارى، فأُطلق على مائة دينار، وجرست[٤] النساء بعد أن سودت وجوههم، ووضع على رؤوسهم كروش الغنم، وأركبوا حميراً

---

١. من مساجد دمشق الأيوبية، كان في الأصل خانا يقال له خان الزنجاري، وكانت تمارس به المنكرات، فأمر الملك الأيوبي الأشرف موسى بتحويله لجامع سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م. أكرم حسن العلبي، خطط دمشق، دار الطباع، دمشق، ١٩٨٩،ص١٨.

٢. يقع في حي الصالحية، بني العام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م بجانب تربة الخاتون عصمة الدين زوجة السلطان نور الدين زنكي. ويقع مقابل المدرسة الجهارسكية، وممن تولى الخطابة فيه الشيخ حسن البيروني. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت:١٠٧٠هـ/١٦٥١م). لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق محمود الشيخ، ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨١، ج٢ ص ٤٦٥؛ العلبي، خطط، ص٣٢١.

٣. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت:٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام)، تحقيق محمد مصطفى، ٢ج، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٦٢-١٩٦٤م، ١ج، ص ٢٠- ٢١. والشرف الأعلى هي المنطقة الواقعة اليوم ما بين ساحة قصر الضيافة القديم بشارع أبو رمانة (بجانب حديقة الجلاء) وبين منطقة زقاق الصخر على نهر بردى وفيها تقع مدرسة التجهيز الأولى للبنين، وقد أطلق المؤرخون على المسافة الممتدة من خانق الربوة غربا إلى ساحة المرجة شرقا الشرفان الأعلى والأدنى، وهما مصطبتان صخريتان تنحدران مباشرة باتجاه النهر وتشرفان على مناظر فسيحة فالشرف الأعلى يشرف على تل المزة وسهلها العميق، أما الشرف الأدنى فيشرف المرء منه على جبل قاسيون الذي يظهر شامخا من تلك المنطقة. وقد وصف البدري الشرفان بقوله: "ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر وما فيهما من الولدان والحور و.." انظر البدري، أبو البقاء عبدا بن محمد المصري الدمشقي(ت:٨٩٤هـ/١٤٩٨م) نزهة الأنام في محاسن الشام، طبع على نفقة نعمان الأعظمي، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ص٧٠. وهناك نسخة طبعت حديثا باعتناء وضبط خيري الذهبي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨م إلا ان نسخة الأعظمي المصورة عن طبعة المطبعة السلفية بالقاهرة تظل افضل؛ مهند مبيضين، ثقافة الترفيه والمدينة العربية في الأزمنة الحديثة، دمشق العثمانية، ط، ٢٠٠٩م، ص٧٦،٢٢٨.

٤. عقوبة قديمة تعود للفترة الفاطمية إذ كان يحكم علي السارق أو خائن الأمانة أو شاهد الزور بتجريسه بأن يركب حماراً بالمقلوب ويدهن وجهه بالقار أو بالجير وهو ما عبر عنه ابن طولون أعلاه بتسويد الوجوه. وتعلق في رقبته الأجراس والجلاجل ويزفه الناس ويدورون به في الطرقات والأزقة ليعلم القاصي والداني بأنه مذنب ومجرم فيتجنبه الناس. واشار ابن كنّان الصالحي إليها في حوادث سنة ١١٤٨هـ/١٧٣٥م عندما تم معاقبة مجموعة من شهود الزور في قضية نفقة أمرأة شهدوا على أنها منقطعة عنها ومن ثم تبين أنها متصلة. ابن كنّان؛ محمد بن عيسى

مقلوبين...(٥)".

ويشير ابن طولون إلى معاقبة كل من تثبت استهانتها بالأخلاق، وذلك بختم البيوت فيقول: "في يوم الأحد ثالث عشرة حصل لبنت زوجة محمد بن الحصني من ابن صدقة محنة في زاوية ابن الحصني لصيق مصلى العيدين(٦) بسبب تساهلها، وختم بيتها(٧).

ويرتبط انتشار المفاسد بضعف الأمن، وهذا ما يمكن تفسيره من أخبار يوردها أحمد بن محمد الأنصاري الشهير بابن الحمصي (ت:٩٣٤هـ/١٥٢٧م) والتي تبين فساد الأخلاق وانتشار الفسق، ومنها خطف النساء في الأسواق(٨)، ويرتبط بانعدام الأمن ضعف الموقف الأخلاقي بشكل عام، وهو ما يفسر النقد الموجه من قبل مؤرخي اليوميات الدمشقية لرجال الدين وقضاة الشرع بسبب تدني تأثيرهم في الحد من المنكرات ومحرمات اللهو، وهذا ما يبين أن حضورهم وتأثيرهم لم يكن يلقى في بعض الأحيان استجابة من ممثلي السلطة، وذلك بسبب الرسوم التي كانت تفرض عليهن(٩).

وخلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي يمكن الربط بين حضور بنات الهوى في الأسواق والساحات والشوارع، وغياب الأمن الذي كان في جزء منه نتيجة لغياب الوالي والجند في رحلة الحج الطويلة اعتبارا من العام١١١٩هـ/ ١٧٠٨م(١٠)، وفي جزء آخر يعزى إلى تعديات العسكر وصراعهم فيما بينهم، والى الظروف الاقتصادية، وعدم الاحتساب (المراقبة على الاسواق)، مما انعكس سلبا على حالة المجتمع الدمشقي(١١)، ولعل هذا ما يفسر نصوص ابن

(ت:١١٥٣هـ/١٧٤٠م). الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية، ط١، تحقيق أكرم العلبي، دمشق، دار الطباع، ١٩٩٤، ص٤٦٧.

٥. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت:٩٥٣هـ/١٥٤٦م) حوادث دمشق اليومية غداة الغزو العثماني للشام، تحقيق احمد ايبش، ٢٠٠٢، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ص ١٣٤.

٦. يقع جامع مصلى العيدين أو جامع باب مصلى الكبير خارج أسوار مدينة دمشق القديمة في منطقة بميدان الحصى قرب ساحة باب المصلى ضمن حي الميدان التحتاني بدمشق وكان أهل الشام يقصدون المكان منذ أيام الأمويين لصلاة العيدين والاستسقاء وكان هذا المصلى مكشوفاً بأرض خالية من أطراف دمشق الجنوبية وأمر ببناء وتنظيم مصلى للعيدين مكان المصلى القديم في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢١٠م السلطان الأيوبي الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد.انظر: عبد الكريم رافق، البنية الاقتصادية والاجتماعية لمحلة باب المصلى (الميدان) بدمشق، في دراسات اقتصادية واجتماعية في تاريخ بلاد الشام، مكتبة نوبل، دمشق ٢٠٠٢م، ص١٩٤؛ العلبي، خطط، ص٣١٠.

٧. ابن طولون، مفاكهة، ج١، ص ٣٧١.

٨. ابن الحمصي، أحمد بن محمد الأنصاري (ت: ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبدالعزيز حرفوش، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٥٤٩. "وفي رجب سنة ٩٢٧هـ تزايد الظلم، وخطف النساء من الأسواق وغير ذلك من القبـائح...".

٩. ابن الحمصي، حوادث، ص٥٦٨.

١٠. منذ العام ١١١٩هـ /١٧٠٨م أصبح والي الشام هو أمير الحج بشكل دائم، وقبل ذلك كانت توجه له إمارة الحج على نحو متقطع، ويذكر ابن كنّان أن والي دمشق عين أميرا للحج في شهر جمادى الثاني ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م بقوله:" وورد الأمر الشريف بأمرية الحج لباشة الشام حسن باشا، وأرسلوا له تقوية بأكياس.." ابن كنّأن، الحوادث اليومية، ص٣٦.

١١. شكل العسكر احد ابرز مصادر الفوضى في دمشق، بسبب انقسامهم وتعدد ولائهم وقد انقسموا إلى أربعة أقسام،

الحمصي التي تؤكد ان انتشار بنات الهوى حظي بموافقة السلطة التي تلقت رسوما محددة لقاء غض الطرف عنهن، كما أن تركيز بنات الهوى على التجاهر في المعاصي وبقرب بعض المساجد، أو وسط الأسواق والأماكن العامة، يشف عن معنين: التحدي للسلطة المحلية، ولفت انتباه رجال الإدارة او الجند، لغاية إقامة علاقة معهم يمكن ان توفر لهن الحماية، إذ يقول ابن الحمصي في عرضه لأحداث شهر ذي القعدة من سنة ٩٢٩هـ/ أيلول - تشرين الاول ١٥٢٣م ما نصه:

[.. ثاني عشرية ورد مرسوم من السلطان على قاضي دمشق بإبطال المحرمات، الخمر والحشيش والزواني، واجتمعوا بالكلاسة[١٢] بالقرب من الجامع الأموي، وتكلموا في ذلك مع قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن يوسف الرومي قاضي دمشق، فلم توافق أركان الدولة على إبطال ذلك لما عليه من المكوس للسلطنة، وانفض الأمر على ذلك..][١٣].

وفي القرن الثامن عشر يستعرض ابن كنّان الصالحي في حوادثه جملة من الجرائم والاحداث المرتبطة بالفسق وفساد الأخلاق، وهو وإن كان مقلا في ذكر تفاصيلها إلا أن الاخبار التي يرويها تظل جزء من الظاهرة العامة للفساد، التي تؤكد أنها ليست مرتبطة بفئة معينة من المجتمع الدمشقي، فهو يشير إلى ممارسة احد أمراء الدروز ويدعى منصور الدرزي[١٤] بأنه كان يأتي لدمشق ويتزوج النساء من غير عقود، وكان ذلك يحدث بمعرفة من والي دمشق وأعيان المدينة فهو يقول :" وكان منصور الدرزي يحب النساء حتى إنه نزل على بنت بصفد في بيت ابيها، فكتفه وفتح البنت، وكان بلغ أهلي دمشق أموره....ثم إنه في دمشق، أراد أن يتصرف فيها وتم على ما هو عليه من الفحش، خصوصا وأن كلمته نافذة عند أصلان باشا[١٥] وصار الناس تروح

الانكشارية بقسميها (القابى قول واليرلية) والقوات السباهية والقوات الخاصة المرتزقة وحرس الولاة، كالسكبان، واللاوند، والمغاربة، والدلاتية، والعناصر المحلية المرتبطة بزعماء وشيوخ العشائر. انظر عن العسكر في دمشق: عبد الكريم رافق. مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام في القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر، مجلة دراسات تاريخية،ع١، ١٩٨٠م، ص ٧٣-٧٩؛ يوسف نعيسة، مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين ١١٨٦-١٢٥٦هـ/١٧٧١-١٨٤٠م، ط١٠، دار طلاس،٢ج، دمشق، ١٩٨٦.ج١، ص ٢٣٨؛ ويعرض نوفان الحمود على نحو دقيق لحركات العسكر وتمرداتهم وإسهاماتهم في الفتن والاضطرابات في بلاد الشام خلال القرن السابع عشر. نوفان الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ١١٦-١٢٣. وانظر كذلك.
K. Barbir, Ottoman Rule in Damascus 1708-1758. Princeton University. Press 1980. , p.p. 82-92.

١٢. أوقفها السلطان نور الدين محمود الشهيد سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وهي لصيقة بالجامع الأموي وكان تحت شباكها الحلقة الكوثرية. انظر: النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت:٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، ط١، تحقيق جعفر الحسيني،٢ج، المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٤٨م.ج١، ص٤٤١؛ العلبي، أكرم، خطط، ص١٥٨.

١٣. ابن الحمصي، حوادث، ص٥٦٨.

١٤. وهو منصور المعروف بان الشهاب التيماني، أمير وادي التيم، وكانت له دار مشهورة في دمشق بمحلة القنوات. المحبي، محمد أمين بن فضل ا (ت:١١١١هـ /١٦٩٩م) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٢، ج٣، ص ٢٠٠-٢٠٣.

١٥. تنقطع اخبار ولاة دمشق عند محمد بن جمعة المقار عند العام ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م ويستمر الانقطاع حتى العام

وتيجي إلى عنده وبعض الأكابر الذين انتفعوا به...وصار يطلب النساء كلما سمع بأمرأة طلبها خفية حتى انه سمع بامرأة بالميدان حسناء فراح إلى عندها ومعه جماعته اثنان..."[١٦]

ويذكر ابن كنّان حالات قتل مرتبطة بحوادث فساد متعلقة باشخاص لا يحدد هويتهم فهو يروي في احداث سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م أن شاباً أحب امرأة "..فدعته إلى بيتها، فلما بات عندها دخل عليه في الليل جماعة وكتفوه وفعلوا ما شاؤوا ثم تفقده أهله فلم يجدوه. فوجدوه بعد التفتيش عندها مربوطا مسكراً عليه فحلوا كتافه ورباطه..."[١٧]. ومما يميز حوادث ابن كنّان التي يرويها أنها قليلة، ومرتبطة بنوع من العلاقات الخاصة، على خلاف ما يبدوا عليه عرض البديري الحلاق لأحداث الفساد الأخلاقي.

يقف البديري بعد ابن كنّان على كثير من مشاهد الفسق المرتبطة بنوع من الجرأة والقدرة على التحدي، فمن جملة ما يرويه في أحداث سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م قوله: "وفي تلك الأيام كثرت بنات الخطأ، ويتبهرجن بالليل والنهار، فخرج ليلة قاضي الشام بعد العصر إلى الصالحية، فصادف امرأة من بنات الخطأ تسمى سلمون، وهي تعربد في الطريق وهي سكرى مكشوفة الوجه، وبيدها سكين فصاح جماعة القاضي عليها أن ميلي عن الطريق، هذا القاضي مقبل، فضحكت وهجمت على القاضي بالسكين فأبعدوها عنه أعوانه... وأرسلوا منادياً ينادي في البلد أن كل من رأى بنتا من بنات الخطأ والهوى فليقتلها ودمها مهدور... مع الغلاء ووقوف الأسعار"[١٨].

وفضلاً عن غياب الامن كسبب من أسباب الفساد، فإن أخبار بنات الهوى تقترن بابتعاد السلطة عن تطبيق الحسبة، مما جعل الرغبة في التمرد أمراً ممكناً، وهذا ما تعكسه حادثة طريفة ارتبطت بحكاية عشق بين واحدة من بنات الهوى وغلام من الأتراك، حدث ذلك سنة١١٦١هـ/١٧٤٨م وجاء خبر الحادثة عند البديري:

١١١٨هـ/١٦٠٩م وقد اتم المحقق السنوات المفقوده من مخطوط ذكر من تولى وافتى وقضى المجهول المؤلف، والذي لا يحدد بدقة الفترة التي قضاها الولاة، في حين يبدو ابن كنّان المعاصر أكثر دقة فهو يشير إلى أن أصلان باشا تولى دمشق للمرة الأولى في ٥ ربيع الأول ١١١٣هـ/١ آب١٦٠٤م وعزل في آخر ربيع الثاني ١١١٤هـ/آب١٦٠٥م ليتولى دمشق من بعده محمد كرد بيرم في ١٨ رجب ١١١٤هـ/١٩ تشرين الثاني ١٦٠٦م والذي عزل يوم السبت ٢٣ جمادى الآخرة ١١١٥هـ/ الأربعاء ٢٥ تشرين الأول ١٦٠٦م وبعد يوم تولى مكانه مصطفى باشا وكان مريضا، وظل حتى الخامس عشر من شعبان ١١١٥ هـ/ الجمعة ١٥ تشرين الثاني ١٦٠٦م حيث عزل وعين مكانه اصلان باشا مرة ثانية والذي دخل دمشق في ٣٠ شعبان/٣٠ كانون أول١٦٠٦م وكان مريضا، وتوفي في ١٨ رمضان١١١٥هـ/الأربعاء ١٧ كانون الثاني١٦٠٧م. ابن كنّان، الحوادث البومية، ص:٥٠، ٥٦ ، ٥٩، ٨٣، ٨٦ ؛المقار، محمد بن جمعة (ت: بعد ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) الباشاة والقضاة، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٩٤٩م، ص٤٩-٥٠.

١٦. ابن كنّان، الحوادث اليومية، ص٥١-٥٢.

١٧. ابن كنّان، الحوادث اليومية، ص١٨٠.

١٨. البديري، أحمد بن بدير الحلاق (بعد ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م) حوادث دمشق اليومية بين سنتي ١١٥٤-١١٧٦هـ، تحقيق أحمد عزت عبدالكريم، القاهرة ١٩٥٣، ص ٥٧.

[...في تلك الأيام زاد الفساد وظلمت العباد وكثرت بنات الهوى في الأسواق في الليل والنهار، ومما اتفق في حكم أسعد باشا[١٩] في هذه الأيام أن واحدة من بنات الهوى عشقت غلاماً من الأتراك فمرض، فنذرت على نفسها إن عوفي من مرضه لتقرأن له مولداً عند الشيخ رسلان، وبعد أيام عوفي من مرضه، فجمعت شلكات البلد وهن المومسات ومشين في أسواق الشام، وهن حاملات الشموع والقناديل والمباخر وهن يغنّين ويصفقن بالكفوف ويدققن بالدفوف..والصالحون يرفعون أصواتهم ويقولون ا أكبر][٢٠]

ويلاحظ في الخبر أن هناك تقاليد خاصة "بالمومسات" وأنهن كُن يخرجن إلى الأسواق في مواكب خاصة، وهذا ما جعل البديري يعد مثل ذلك السلوك أمراً منافياً للأخلاق العامة، كما تكشف رواية البديري عن ضعف دور السلطة والحكم المحلي، وكذلك عن غياب الرقابة على الأسواق، وهذا ما جعل أهالي دمشق يستمرون بشكواهم للحد من مظاهر الفساد.

لكن شكوى الناس من الفساد وانتشار الفوضى لم تجد أذنا صاغية دائما؛ ففي بعض الأحيان ولأسباب غير واضحة، يبدو موقف الولاة سلبيا من تلك المظاهر، وهذا ما حدث سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م عندما أخبر أسعد باشا العظم بخروج النساء وبنات الهوى إلى الأسواق وأنهن كن ينمن في الدكاكين والأفران والمقاهي، وطلب إليه الأمر بإخراجهن، ولكنه رفض أي إجراء ضدهن.

ويورد البديري الحوار الذي دار في مجلس التأم للنظر في الشكوى بقوله:".. وقالوا له – أسعد باشا- دعنا نعمل لهم طريقا إما بترحيلهم، أو بوضعهم بمكان لا يتجاوزنه، أو نتبصر في أمرهم، فقال: إني لا أفعل شيئاً من هذه الأحوال، ولا أدعهم يدعون علي في الليل والنهار، ثم انفض المجلس ولم يحصل من اجتماعهم فائدة.."[٢١].

إلا أن تمادي بنات الهوى بعد تلك الحادثة، وظهورهن في شوارع المدينة على نحو مناف للأخلاق، حرك العلماء الذين ظهر تأثيرهم واضحاً في أسعد باشا العظم أكثر من تأثير رجال الإدارة في ديوانه في محاولة دفعه للأمر بإخراج بنات الهوى من دمشق، فاستجاب لطلب العلماء عندما احتجوا إليه، فأصدر أوامره بضرورة، إخراج بنات الهوى من دمشق، والتنبيه على مشايخ الحارات بضرورة أن تكون الحارات خالية من أي شبهات[٢٢]. وكان ذلك في التاسع من ذي القعده

---

١٩. حكم بعده أسعد باشا العظم مدة خمس عشرة سنة، بدأت سنة ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م وانتهت في آخر ربيع الثاني سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٧م. انظر في: البديري، حوادث، ص: ٤٧-١٩٦ وانظر:

Rafeq, A. The Province of Damascus .1723 - 1783 (2.ED), Khayats, Beirut, 1970, P.35. And see. Schilcher .Linda. Families in Politics Damascene Factions and Estates of the 18th and 19th Centuries, Stuttgart, 1985.

٢٠. البديري، حوادث، ص١١٢.

٢١. البديري، حوادث، ص١٢٧.

٢٢. يقول البديري: "... وفي ذلك اليوم أمر الحاكم بأن يخرجوا بنات الهوى وهم الشلكات من البلد إلى خارج البلد، وأظهر أنه يريد أن ينفيهن إلى بلاد أخرى ونبه على مشايخ الحارات أن من وجد في حارته ذو شبهة لا يلومن إلا نفسه..." البديري، حوادث، ص١٣٤.

١١٦٢هـ/١٢ تشرين الأول ١٧٤٨م.

غير أن هذا التشديد على ضرورة إخراج بنات الهوى، لم يصمد طويلاً، وانتهى بالترخيص لهن بممارسة نشاطهن مقابل دفع ضريبة مالية أو رسم يدفع كل شهر، وهو ما يضفي على الفساد نوعا من التأثير الاقتصادي، وهذا ما يفسر وضع قوة عسكرية يقودها "الشوباصي" لحمايتهن [٢٣]، ويتابع البديري خبره قائلا:

[..وما بقي التشديد غير جملة أيام، إلا وقد رأينا البنات المذكورات يمشين كعادتهن في الأزقة والأسواق وأزيد، ورجعن إلى البلد ورتب الحاكم عليهن في كل شهر على كل واحدة عشرة قروش وجعل عليهن شوباصيا..][٢٤]

وبرغم أن البديري يروي تلك الأخبار بقالب أدبي بسيط، إلا أنه يحمل صورة السخط على الفساد وانحلال الأخلاق، وفي غير مكان من حوادثه يشير إلى وجود المحظيات والسرايا والجواري عند أعيان دمشق، فهو يذكر أن سليمان باشا العظم كان يملك سرية مقدمة على جميع محاظيه تسمى زهرا [٢٥]، وتمدنا وثائق السجل الشرعي بعدد من الحجج الخاصة بالجواري وغالبها في قضايا العتق[٢٦].

ويشير السجل الشرعي خلال فترة الوثيقة التي هي محل اهتمام هذه الدراسة إلى جملة من الحجج الشرعية المتصلة بقضايا الفساد الأخلاقي، وهي في مجملها تبدو مقتضبة ومختصرة على خلاف الوثيقة التي نحققها في هذه الدارسة، لكنها تقدم اشارات إلى أن فساد الأخلاق كان موجودا باشكال متفاوته كما يبين الجدول الآتي الذي أمكن فيه رصد مجموعة من الحجج الشرعية المتصلة بفساد الأخلاق وهي موزعة على عدة سجلات للمحاكم الشرعية بدمشق تم فحصها كعينة:

---

٢٣. الصوباشي / su-pashi رئيس الشرطة، أو رئيس فرقة الجند السباهية وهو كبير موظفي الأمن في المدينة، كاف بمراقبة الأمن في دمشق ومطاردة المجرمين. وعند المقريزي ورد بمعنى "الوكيل في الضيعة من قبل صاحبها أو الأمين الذي تحبس النساء في بيته" انظر : المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت:٨٤٥هـ/١٤٤١م) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد زيادة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٦- ١٩٧٠م، ج١، قسم ١، ص٢٥١. ابن طولون، مفاكهة، ج٢، ص٧٧؛ عبد الكريم رافق، بلاد الشام ومصر من ١٥١٦-١٧٩٨م، ط٢، دمشق، ١٩٦٨م، ص٧٨؛ نعيسة، مجتمع، ج١، ص٢٢٤. هاملتون جب، هارولد بوون. المجتمع الإسلامي والغرب، ط١، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، ٢ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م. ج١،ص٢١٧. محمد عبد ا العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، دار كنوز المعرفة، ط١، عمان ، ٢٠١٠م، ص١٩١، وانظر:
Bosworth, C.E. (Su-Bashi), E.I.^{2}, Vol, 9. P-P: 736-737

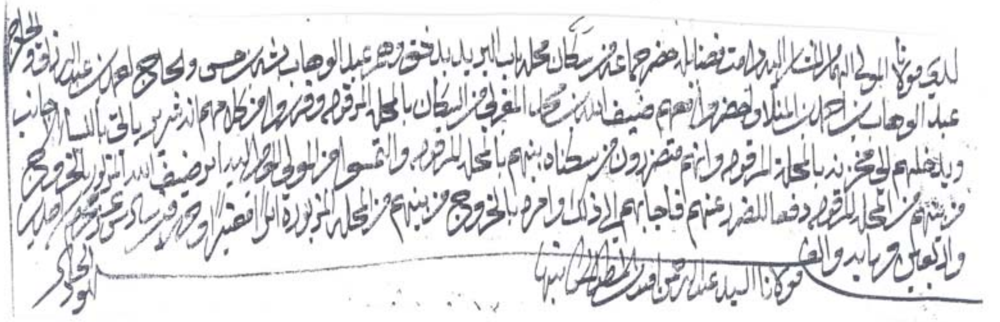
٢٤. البديري، حوادث، ص١٣٤.

٢٥. المصدر نفسه، ص٥٨.

٢٦. سجل ١٣٩، حجة ٢٥٨، ص١١٢، ٢٩ شعبان ١١١٦هـ/٢٧ كانون أول ١٧٠٤م؛ سجل ١١٥، حجة ٢٤٦، ص١٤٤، ١٠ شعبان ١١٥٩هـ/٢٨ آب ١٧٤٦م (..لدى مولانا اشهد اسعد بن محمد المنير..على عتق جاريته العاملة عند الشيخ خليل الصديقي..)؛ سجل ١٥٠، حجة ٢٤٤، ص٧٥، ٢٩ ذي القعدة ١١٧٠هـ/ ١٥ آب ١٧٥٧م.

رقم السجل	الحجة	الصفحة	التاريخ	ملاحظات
١٨	٣١٤	٢٠٨	٢٦ جمادى الأولى ١١٠١هـ/٨ آذار ١٦٩٠ م	شكوى بمجلس الشرع. من تعاطي العقود الفاسدة في المعاملات ومنها الزواج..
٢٩	٤٦	١٨	٢٣ جمادى الثانية ١١١٩هـ/٢٠أيلول ١٧٠٧ م	حادثة زنى
	٢٣٨	١١٩	١٢ رجب ١١١٩هـ/٨ تشرين اول ١٧٠٧ م	سرقة وزنى وقتل
	٣٤٤	١٦٠	٢٣ شعبان ١١١٩هـ/١٨تشرين ثاني ١٧٠٧ م	اعتداء على طفل
	٣٩٠	١٧٩	١١ شوال ١١١٩هـ/5 كانون ثاني ١٧٠٨ م	اعتداء على امرأة ومن ثم قتلها
٦١	٢١٨	١٠٨	١٤ صفر ١١٤١هـ/١٨ آيلول ١٧٢٨ م	الزنى بامرأة وسرقتها
	٢٥٥	١٢٥	١٧ رجب ١١٤١هـ/١٦ شباط ١٧٢٩ م	شكوى من فساد أخلاق بشكل متكرر
	٣٦٨	١٧١	٢١ ذو القعدة ١١٤١هـ/١٨ حزيران ١٧٢٩ م	التعرض للنساء بالطرقات
٩٨	٢٠٦	١٣٢	٢٣ ذو الحجة ١١٥٣هـ/١١ آذار ١٧٤١ م	شرب الخمر ومضايقة النساء
١٠٦	-	-	-	يخلو من اي قضية متصلة بفساد الأخلاق
١١٧	٣٤ ٣٢٥	١٥ ٢٢٠	١٤ جمادى الأولى ١١٥٩هـ/٤ حزيران ١٧٤٦ م ١٢ صفر ١١٦٠هـ/٢٢ شباط ١٧٤٧ م	في السجل حجتان الأولى شكوى اهالي محلة الورد من رجل فاسد، والثانية متصلة بقضية زنى وسرقة
١٤٨	٥٩	٢٨	٩ محرم١١٧٠هـ/ ٤ تشرين أول١٧٥٦م	جاء في نص الحجة ما يلي :" ..حضر جماعة من المسلمين التركمان سكان زقاق الداديخي تابع **محلة الحقلة** واحضروا معهم الحرمة مروة بنت عبد ا وقد قرروا في كلامهم انها تسكن الزقاق المرقوم وأنها شريرة والتمسوا من الحاكم الأمر لها بالخروج.."

وبمثل ما يبدو التجاهر بالمعاصي وظهور النساء في الاماكن العامة، فإن الوثائق تشير إلى شكوى أهالي الأحياء من اتخاذ بعض الرجال والنساء[٢٧] الذين تلقبهم الوثائق انهم من "الأشرار" لبعض الاماكن سواء من غرف أو دور أو مخازن أمكنة يأون إليها لممارسة الفساد. وهذا ما حصل مع أهالي محلتي باب البريد[٢٨] والحقلة[٢٩]، اللتين اشتكى جماعة من أهلها على سوء اخلاق كل من ضيف ا بن محمد المغربي ومروة بنت عبد ا ، وكان ضيف ا حسب نص الحجة "يأتي بنساء الأغراب ويدخلهن إلى مخزن بالمحلة" فطالب ممثلي أهالي المحلة من القاضي إخراجه منها؛ لأنهم تضرروا من سكنه بينهم، وقد أجابهم القاضي إلى ذلك كما توضح صورة وثيقة الشكوى تاليا.



[نموذج من وثائق الاخلاق في السجل الشرعي]

٢٧. انظر الجدول السابق سجل ١٤٨ حجة ٥٩.

٢٨. باب البريد هو المدخل الغربي لمعبد جوبيتر، وكان له رواق معمد لازالت بقاياه قائمة إلى اليوم في منطقة المسكية. أما في أيامنا فاسم (باب البريد) يطلق على الباب الغربي لصحن الجامع الأموي، كما يسمى هذا الباب أحياناً (باب المسكية). كما أن مجمل المنطقة المحاذية لباب المعبد المذكور تحت اسم (باب البريد).والجدير بالذكر أن بناء باب البريد الأصلي العائد لمعبد جوبيتر بقي قائماً حتى العهد الأيوبي، حينما قام الملك العادل أبو بكر بن أيوب بنقل حجارته وعمده إلى القلعة لعمارتها. ذكره ابن فضل ا العمري في مسالك الأبصار. وذكر ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري أن محلة باب البريد كانت في عصره من أنزه المواضع. ثم في العهد المملوكي يفيد ابن قاضي شهبة أن باب البريد كان له درج، وعلى يمين النازل منه قناة. ويتّضح أن مكان هذا الدرج عند المنحدر الذي يلتقي عند سوق الحميدية بسوق المسكية اليوم. انظر: شهاب الدين أبو عبد ا ياقوت بن عبد ا الحموي (٦٢٦ هـ/١٢٢٥م) معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت : ١٩٧٩، ج١، ص٣٠٦؛ احمد ايبش وقتيبة الشهابي، معالم دمشق التاريخية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، ص٣٤.

٢٩. لم نعثر عليها في كتب الخطط. ومن المرجح انها محلة نشأت بعد القرن السابع عشر لأنها لم ترد عند خليل ساحلي أوغلو، وهي تقع الآن في منطقة القبيبات من الميدان التحتاني ويسكنها تركمان جاءوا من حلب وفيها بيوت ذات قباب، ومقبرة كبيرة وساحة واسعة تدعى "ساحة السخانة" كما أفادني كل من الدكتور محمد الأرناؤوط والدكتورة سراب الأتاسي والباحث عصام حجار، وقد اشارت إليها بريجيت مارينو كمكان يجتمع به التركمان في القرن السادس عشر وعرف باسم "حقلة التركمان" انظر: خليل ساحلي أوغلو، البنية الاقتصادية والاجتماعية لمدينة دمشق في القرن السابع عشر من دفتر العوارض رقم ١٩٧٧، منشورات مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استنانبول. ٢٠٠٥م. وانظر بريجيت مارينو، حي الميدان في العهد العثماني، ترجمة ماهر الشريف، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص١١٩. والملاحق في الخريطتين رقم ١٣ و١٤.

ويظهر أن الموقف الرافض لوجود بنات الهوى وأهل الفسق في مدينة دمشق كان سببا في بناء منشآت دينية وعلمية في أماكن انتشار تلك الظاهرة، ومن ذلك بناء المدرسة المرادية البرانية(٣٠) التي شيدت في سوق ساروجة، ويشار هنا أيضا إلى وجود خان عرف باسم خان الهوى، وكان يأوي إليه "أهل الفسق والفجور" وتم تحويله إلى مدرسة وجامع عرفت باسم المدرسة المرادية الكبرى الجوانية(٣١).



الصفحة الأولى من الوثيقة

ثانيا: الوثيقة

أ: وصف الوثيقة

- رقم السجل : ١٣٢
- نوع الوثيقة: حجة شرعية
- رقم الوثيقة: ٣٧٠.
- أبعاد الوثيقة: ٣٠×٢١ سم
- نوع الخط: خط القيرمة[٣٢].
- شكل الوثيقة: ورقتان مفردتان، تتضمن نص الحجة في النصف الأعلى، وتوقيعات العلماء في النصف الأسفل الأولى والصفحة الثانية.
- عدد الصفحات: صفحتان.
- عدد سطور الوثيقة:٢١ وجهاً فقط.
- حالة الوثيقة: جيدة.
- تاريخها: ٥ شعبان ١١٦٤هـ/٢٩ حزيران ١٧٥١م.

---

٣٠. أوقفها مراد المرادي سنة ١١٠٨هـ/١٦٩٧-١٦٩٧م وبنى معها مسجداً ولها باحة مستطيلة تحيط بغرف عددها ثلاثون وفي المدرسة قبران هما قبر محمد بن مراد المرادي (ت: ١١٦٩هـ/١٧٥٥م) وقبر ابنه علي (ت: ١١٨٤هـ/١٧٧٠م). انظر: المرادي؛ محمد خليل (ت:١٢٠٦هـ/١٧٩١م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار ابن حزم، دار البشائر ، بيروت ، ١٩٨٨م. ج٤، ص١٢٩؛ ابن كنّان؛ الحوادث اليومية، ص٨. وانظر: العلبي، خطط، ص٢٦٧.

٣١. كانت هذه المدرسة خاناً حوله مراد المرادي إلى مدرسة في سوق المرادية الذي بناه مراد باشا في منطقة باب البريد جنوب المدرسة الظاهرية، تشتمل على ٥٢ غرفة؛ انظر : المرادي، سلك، ج٤، ص١٣٠؛ العلبي، خطط، ص٢٦٨.

٣٢. القيرمة نسبة إلى كلمة " قيرمق" التركية قيرمق: مصدر يأتي بمعان كثيرة منها: كسر، تحطيم تدمير وتغاب، إلحاق الهزيمة وقيرمه بمعنى كسر ويطلق على خط السياقة (سياقت) قيرمه أيضا انظر : شمس الدين سامي: قاموس تركي، استانبول، ١٣١٧هـ، ص١١٢٥؛ وهذا الخط يتيح للكاتب أن يعبر عن الموضوع المراد الكتابة فيه في أقل مساحة ممكنة وبأكبر عدد ممكن من الكلام. انظر: عاصم الدسوقي، كتاب البحث في التاريخ: قضايا المنهج والإشكالات، القاهرة ١٩٩٧؛ ليلى عبد اللطيف أحمد، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر وبلاد الشام إبان العصر العثماني، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٠م، ص٤٧.، خالد زيادة، كاتب السلطان حرفة الفقهاء والمثقفين، دار رياض الريس، ط١ بيروت، ١٩٩١م، ص٩.

- القاضي الموثق: لطف ا أفندي.
- التوقيعات: حامد العمادي، محمد العمادي، عيسى بن عبد ا ، عبد الرحمن بن عماد الدين، عبدا الحسيني، محمد سعيد المحاسني، محمد الغزي، أحمد العمادي، أسعد الصديقي.

ب: نص الوثيقة[٣٣]

[لدى مولانا افتخار العلماء والمدرسين العظام الشيخ لطف ا أفندي[٣٤] دامت فضائله حضر جماعة من العلماء العظام والأفاضل السادات والصلحاء والأعيان الكرام وغيرهم من سكان محلة المرحوم الملك الظاهر[٣٥] بدمشق وغيرهم وهم:

سيدنا العلامة أحمد أفندي ابن الشيخ علي منيني زاده[٣٦] دامت فضائله، وولده عمر أفندي[٣٧]، والشيخ إبراهيم أفندي بن الشيخ يوسف السعدي[٣٨]، والأخوين هما السيد حسين أفندي، والسيد محمد جلبي ولدا المرحوم السيد عبد الرحمن أفندي السرميني[٣٩]، والسيد الشيخ يونس أفندي بن

٣٣. وجد الباحث الوثيقة أثناء عمله على سجلات المحاكم الشرعية بدمشق بين عامي ١٩٩٧-١٩٩٩م، وهي موجودة ضمن سجل شرعي رقم ١٣٣ حجة ٣٧٠، ص ١٨٨، ٥ شوال ١١٦٤هـ/٢٧ آب ١٧٥١م.

٣٤. السجل رقم ١٣٣ حسب تصنيف بريجيت مارينو وتوموكي أكاوارا، لم تحدد تبعيته لأي محكمة، بريجيت مارينو وتوموكي أكاوارا. دليل سجلات المحاكم الشرعية العثمانية، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٩م، ص٥٠. وأشار ابن كنّان، إلى القاضي لطف ا أفندي في أحداث إثبات رؤية شعبان سنة ١١٥١هـ/١٧٣٨م، بأنه كان آنذاك في منصب نائب القاضي هاشم زادة أفندي، ويرجح أن لطف ا تولى القضاء في = محكمة القسمة الشرعية العربية، بعد وفاة هاشم زادة العام ١١٥١هـ/١٧٣٨م ويشير صاحب مخطوط ذكر من تولى وأفتى وقضى إلى أن هاشم زادة بن محمد أمين أفندي مات بالمحكمة. انظر: ابن كنّان، الحوادث، ص٥٠٣، مجهول، رسالة فيمن تولى وأفتى وقضى، مخطوط رقم ٧٩٦٣، الظاهرية، مكتبة الأسد، دمشق، ٧ ورقات، د.ت.، ق٥٣و. وبما أن الوثيقة تحوي من بين توقيعاتها توقيع قاضي قضاة دمشق الحنفي عيسى زادة بن عبد ا ، فإنه يتأكد للباحث أن القضية عرضت في محكمة القسمة العربية ولم تعرض في المحكمة الشرعية الرئيسة. انظر : مجهول، ذكر من تولى وأفتى وقضى، ق٢٧. ويشير البديري في القرن الثامن عشر إلى أن القاضي الحنفي كان يعقد مجلسه في المدرسة النورية ودعيت باسم المحكمة الكبرى، وفي حوادث البديري إشارة إلى زقاق المحكمة الكبرى. البديري، حوادث، ص١٧٢.

٣٥. نسبة إلى الملك الظاهر بيبرس توفي ٦٧٦ هـ/١٢٧٧م، وفي المحلة المدرسة الظاهرية الكبرى التي كانت مشتركة بين الشافعية والحنفية وأضحت فيما بعد مقرا للمكتبة الظاهرية، العلبي، خطط، ص١٣٥؛ دورتيه زاك، دمشق طور وبنيان مدينة مشرقية إسلامية، ترجمة قاسم طوير، المعهد الفرنسي للشرق الأوسط ومعهد الآثار الألماني، ٢٠٠٥م، ص٤٢.

٣٦. أحمد بن علي بن عمر بن صالح الطرابلسي الأصل الحنفي المنيني المولد الدمشقي المنشأ، محدث لغوي أديب أخذ عن شيوخ دمشق مؤلف في النحو والأدب وفضائل دمشق وعلم الحديث، درس بالجامع الأموي بين العشائين توفي سنة١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، المرادي، سلك، ج١ ص١٤٥.

٣٧. حنفي المذهب عمل بالتدريس كانت عليه عدة وظائف في التدريس، لم يذكره الشيخ المرادي في ترجمة والده، لكنه أشار إليه في ترجمته لشقيقه إسماعيل، توفي عمر المنيني سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، "وقيل بسبب وظائفه"، المرادي، سلك، ج١، ص٢٤٢.

٣٨. أبو الوفاء إبراهيم بن يوسف بن عبد الباقي بن أبي بكر الشيباني الجباوي الشاغوري الخلوتي شيخ صوفي كان يسكن محله الشاغور البراني، لم تحدد المصادر سنة وفاته. انظر : المرادي، سلك، ج١ ص٤١-٤٢

٣٩. لم أعثر له على ترجمة.

المرحوم إبراهيم أفندي الأدهمي(٤٠)، وأحمد أفندي بن المرحوم محمد أفندي المواهبي مفتي السادة الحنابلة بدمشق(٤١)، والسيد يحيى أفندي بن السيد إبراهيم أفندي الجالقي(٤٢)، والشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف العمري(٤٣)، والسيد أحمد أفندي بن المرحوم مراد أفندي السقاميني(٤٤)، والسيد أحمد أفندي بن المرحوم عبد الرحمن أفندي الأسطواني(٤٥)، والسيد حسن أفندي بن المرحوم أحمد أفندي الاسطواني(٤٦)، والسيد عبد الحي أفندي بن السيد محمد أفندي القدسي(٤٧) والسيد عبد الرحمن جلبي بن المرحوم الشيخ أسعد المنير(٤٨)، والسيد محمد الجلبي بن إبراهيم جلبي التركماني(٤٩)، ومحمد سعيد جلبي بن المرحوم محمد آغا سمان زاده(٥٠) والسيد عيسى جلبي بن أحمد جلبي

٤٠. لم أعثر له على ترجمة.

٤١. والده الشيخ أبو المواهب الحنبلي الدمشقي أحد أبرز علماء الحنابلة في دمشق، وقد رحلت الأسرة من القدس إلى حي الصالحية بدمشق في القرن الخامس الهجري وهو أحد العلماء المشاهير الذين وصفوا بتصديهم لمظالم ولاة دمشق. انظر : المرادي، سلك، ج١، ص٦٩؛ ابن كنّان، الحوادث، ص٧٨.

٤٢. يحيى بن إبراهيم الجالقي كان رئيساً للكتاب بمحكمة القسمة العسكرية بدمشق، كاتب بارع يصفه المرادي، بأنه من عقلاء الكتاب، عارفا بفن الصكوك" خدم عدداً من دفتردارية دمشق وكان محسوبا عليهم توفي سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، المرادي، سلك ج٤، ص ٢٢٩

٤٣. أحمد بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد تقي الدين بن أبي بكر العمري، الدمشقي الشافعي المعروف بابن عبد الهادي شيخ أديب ولد بدمشق وأخذ عن علمائها وقرأ على شيوخها دروساً بالجامع الأموي توفي بدمشق سنة ١١٧٣ هـ / ١٧٥٩م المرادي، سلك ج١، ص ١٢٣

٤٤. لم أعثر له على ترجمة، لكن المحبي في ذيل نفحة الريحانة ترجم لوالده محمد مراد بن محمد بن يحيى السقاميني الذي كان أديبا ناظما، انظر : محمد أمين بن فضل ا المحبي(ت:١١١١هـ /١٦٩٩م) ذيل نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانة أو ذيل ريحانة الالبا، تحقيق أحمد عناية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥ م ص١٥١.

٤٥. أحمد بن عبد الرحمن الاسطواني، لا تشير إليه كتب التراجم، إلا أن ابن كنّان الصالحي يذكر أنه عين في شهر ربيع الثاني سنه ١١٥١ هـ/١٧٣٨م بوظيفة باش كاتب محكمة الباب. ابن كنّان، الحوادث، ص ٤٩٩.

٤٦. هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن الأسطواني الدمشقي، الحنفي شاعر أديب توفي بدمشق العام ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م. انظر : الشطي، محمد جميل. روض البشر في أعيان القرن الثالث عشر، ط٢، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٧٢. ص، ٧٠، ٧١؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ط١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.ج٣، ص ٢٠٠.

٤٧. أصل هذه الأسرة من بني قضيب البان في حلب والمترجم هو ابن الشيخ محمد شمس الدين القدسي نقيب الأشراف بحلب، انظر الحصني، محمد أديب تقي الدين. منتخبات التواريخ، ط١، تحقيق كمال سليمان الصليبي، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٩٢٢؛ محمد شريف الصواف، معجم الأسر والأعلام الدمشقية الطبعة الأولى ، دار بيت الحكمة، دمشق ، ٢٠٠٣م، ج٢ ص ٨٠٤.

٤٨. والصواب عبد الرحيم بن أسعد المنير (١١٢٣-١١٩٣هـ/ ١٧١١-١٧٧٩م) عالم نحوي أخذ عن والده وعن شيوخ دمشق اشتغل بنسخ الكتب، المرادي، سلك ج١ ص٧٧ ؛ محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظه، علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشرالهجري، دار الفكر دمشق، ٢٠٠٠م، ج٣، ص ٣٩٦؛ الصواف، معجم الأسر والإعلام، ج٢ ص٩٥١.

٤٩. لم أعثر له على ترجمة.

٥٠. لم أعثر له على ترجمة.

الحامي؟[٥١]، والشيخ علي بن الشيخ محمد الإمام بالجامع الشريف الأموي[٥٢]، والشيخ عمر بن الشيخ صالح الفتال[٥٣]، والشيخ محمد بن بكر جاويش[٥٤]، والسيد عيسى جلبي بن السيد أحمد آغا[٥٥]، وأحمد آغا بن محمد آغا والسيد أحمد سعيد جلبي بن السيد عبد الوهاب المنقار[٥٦]، وولده السيد عبد الوهاب جلبي[٥٧]، والسيد أحمد جلبي الخوص[٥٨]، والسيد عبد المعطي جلبي بن [برجاق][٥٩]، ومحمد بن إبراهيم جلبي الأكرمي[٦٠]، والسيد عثمان بن الشيخ محمد المؤذن[٦١]، والشيخ عبد الرحمن بن الشيخ سعود بن رئيس السادة المؤذنين بالجامع المؤمئ إليه[٦٢]. والشيخ أحمد بن الشيخ مصطفى العطار المؤذن[٦٣]، والشيخ مصطفى بن حسين[٦٤] ومصطفى آغا بن الحاج بكر بن الشيخبندر بدمشق، ومصطفى آغا بن أحمد آغا الشيخبندر السابق واحمد اغا بن علي بشة[٦٥]، والسيد عمر جلبي بن إسماعيل بشة البصروي، وولده السيد مصطفى، والشيخ عبد

---

٥١. لم أعثر له على ترجمة.
٥٢. لم أعثر له على ترجمة.
٥٣. لم أعثر له على ترجمه، وعائله الفتال أسرة دمشقية جدهم الشيخ إبراهيم بن منصور (ت١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م) ومن أعلامها خليل بن محمد الفتال(١١١٧-١١٨٦ هـ/١٧٠٥-١٧٧٣م) شاعر ومدرس. انظر: ابن شاشو، عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن (ت:١١٢٨هـ/١٧١٦م) تراجم بعض أعيان دمشق، المطبعة اللبنانية، نشره نخلة قلفاط ، بيروت ، ١٨٨٦م. ص ١٠٨— ١٠٩. وأنظر : ليلى الصباغ من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الاول ، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٢٩؛ الحافظ وأباظه، علماء دمشق وأعيانها في القرن ١٢ هـ، ج٣ ص٣١٢؛ الصواف، معجم، ج٢ ص ٧٥٧.
٥٤. لم أعثر له على ترجمة.
٥٥. لم أعثر له على ترجمة.
٥٦. كانت له وظيفة إعادة الدرس في المدرسة الظاهرية، انظر سجل شرعي ١٣٣ حجة رقم ٤٣٢، ص ٢٠٠، ٢٣ ذو الحجة ١١٦٤هـ/١٢ تشرين الثاني١٧٥١م.
٥٧. كانت له نصف وظيفة الشعالة في الجامع الأموي حسب السجل الشرعي. انظر: سجل شرعي ١٢٩، حجة ١٣٢، ص٨٧، ٢ صفر ١١٦٢هـ/٢٢ كانون الاول١٧٤٩م
٥٨. كان يعمل في طائفة الفراشين بجامع الجوزة حسب ما يشير السجل الشرعي، سجل ١٣٥، حجة ٣٣٣، ص١٤٣، ٢٣ رجب، ١١٦٦هـ/٢٧ أيار ١٧٥٢م.
٥٩. غير واضحة في الأصل.
٦٠. لم أعثر له على ترجمة.
٦١. يشير السجل الشرعي إلى أنه كان يعمل بوظيفة تولية أوقاف المدرسة الفتحية، سجل ١٣٠،حجة ١٦٥، ص٥٦، ١٤ شوال ١١٦٤هـ/٤ ايلول١٧٥١م.
٦٢. المقصود به الجامع الأموي.
٦٣. مؤسس أسرة العطار هوالشهاب أحمد بن عبد ا بن عبيد بن عسكر العطار، وقد قدمت العائلة من حمص وكانت أصلا في حلب، وعرفت بأنها أحد أسر الأشراف بدمشق، والمترجم كان يعمل مؤذنا في جامع الورد في حي ساروجه. انظر : الحصني، منتخبات، ص٩٣٣. وانظر: سجل ١٢٥، حجة ٢٣٤، ص١٤٢، ٢٢ جمادى الأولى١١٦٣هـ/١٧٤٩م.
٦٤. لم يرد له ذكر في كتب التراجم لكن السجل الشرعي يشير إلى مصطفى بن حسين كأحد العاملين في نصف وظيفة الفراشة بالجامع الأموي ، انظر : سجل رقم ١٤٠، حجة، ٢٣٢، ص ٨٧، ٤ رجب ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.
٦٥. سجل ١٣٨ حجة ١٢٣، ص٢٣٢، ١٢ ذي القعدة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

القادر(٦٦) بن الشيخ محمد(٦٧)، والسيد علي بن السيد محمد القطان(٦٨)، والحاج محمد بن معتوق(٦٩)، والسيد محمد آغا بن أحمد آغا البصروي(٧٠)، والدرويش محمد بن عبد الوهاب(٧١)، والحاج عبد الرحمن بن محمد(٧٢)، وأحمد بك بن المرحوم مصطفى بك الترزي(٧٣)، والحاج محمد الشعال(٧٤).

وقرروا في كلامهم: واخبروا جميعاً الحاكم المشار إليه، بأن الدخلة الكاينة(٧٥)، بالمحلة المرقومة بزقاق مدرسة العزيزية(٧٦)، تجاه دار ابن الترزي(٧٧)، الواقعة بين مدفن الملك الجليل

٦٦. لا يشير محمد شريف الصواف في معجمه عن الأسر والعائلات الدمشقية لأسرة البصروي التي ينتمي إليها الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب البداية والنهاية، ويشير المرادي في سلك الدرر، إلى الشيخ عبد ا بن زين الدين البصروي الشافعي الدمشقي توفي ١١٧٠هـ/١٧٥٦م وسجل رقم ١٤٥،حجة ٢٤٥، ص١٥٦ بتاريخ ٢٣ شوال ٢١/١١٦٩ تموز١٧٥٦م إلى عمر بن مصطفى البصروي في قضية بيع أرض، في حين لم نعثر على أي إشارة لواديه المشار إليهما أعلاه في نص الوثيقة.

٦٧. لم أعثر له على ترجمة.

٦٨. عائلة القطان من الأسر الشريفة في دمشق، ولا يشير الصواف في موسوعته إلى العائلة، علما بأن المرادي ترجم للشيخ عثمان بن محمود القطان الكفرسوسي الدمشقي توفي ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، المرادي، سلك، ج٣ ص١٦٧، ولا يشير السجل الشرعي للسيد علي القطان المذكور في متن الوثيقة، ويذكر القاسمي في قاموس الصناعات الدمشقية أن "القطان هو بائع القطن وتاجره وحرفة القطان حرفة مهمة بدمشق ولها سوق مخصوص.." القاسمي، محمد سعيد. ومحمد جمال الدين وخليل العظم، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق، ظافر القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م، ج٢ ص٣٦٠.

٦٩. لا تشير كتب التراجم أو السجل الشرعي إليه لكن عائلة معتوق في دمشق أصلها من بلدة ريحا التابعة لنواحي حلب، وآل معتوق من الأسر الشريفة من اتباع الطريقة الرفاعية وقد استقر قسم منهم في حي الميدان في دمشق، انظر: الغزي، كامل بن حسن بن مصطفى بالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ١٩٥٢م،حلب، ج١، ص٤٠٩-٤١٠.

٧٠. لم نعثر له على ترجمة، وعن أسرة البصروي، انظر الهامش رقم ٥٤.

٧١. الدروشة بفتح الدال وكسرها مشتقة من الدرويش، ويقال إنه مصطلح منقول من اللغة الفارسية وهو بمعنى: طارق الأبواب للسؤال (الشحات) ويمكن القول إن هذه الكلمة بصفة عامة استعمات - تاريخياً - للدلالة على العضو في طريقة من الطرق الصوفية واستخدم المعنى بمصطلح آخر هو الفقير كما تشير دائرة المعارف الإسلامية. ولا نعرف إشارة للدرويش محمد بن عبد الوهاب في دمشق. وحول مصطلح درويش، انظر:

D.B.Macdonald .(Darwi<u>sh</u>) EI^2, Vol.2.pp.164-165.

٧٢. لم أعثر له على ترجمة.

٧٣. عائلة الترزي أو الطرزي من الأسر الدمشقية القديمة ومن أعيانهم أحمد بيك الترزي وهو أحد أعيان الجند اليرلية. المرادي، سلك، ج١، ص٦٩،١٨٣؛ الصواف، معجم، ج٢،ص١٧٥. والمشار إليه أعلاه نجل الطبيب والشاعر مصطفى بن أحمد بن حسين بن برهان الدين الترزي توفي ١١٦٠هـ/١٧٤٧م. انظر: المرادي، سلك، ج٤، ص١٦٦؛ الحافظ واباظه، علماء دمشق، ج٢، ص٣٥٠.

٧٤. من عائلات دمشق ومن مشاهيرها الشيخ إبراهيم الفتال (ت: ١١١٢هـ/١٧٠٠م) والحاج محمد الفتال كان يعمل في جباية أوقاف الجامع الأموي بأجرة قدرها درهم ونصف حسب ما تشير إليه الحجة الشرعية في سجل شرعي ١٣٧، حجة ١٢٣، ص٣٢، ١٤ رجب ١١٦٦هـ/١٧ ايار ١٧٥٣م؛ وعن تراجم بعض أعلام العائلة ومنهم إبراهيم الفتال. انظر: ابن شاشو، تراجم، ص١٠٨-١٠٩.

٧٥. والصواب الكائنة.

٧٦. بناها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين العام ٥٩٣هـ/١١٩٦م وهي تقع إلى الشرق من القبة وإلى الشمال من

المرحوم صلاح الدين، والدور التي هي الآن من جملة دار سيدنا ومولانا أعلم العلماء المتبحرين العظام أكرم الموالي المدققين الفخام، المولى السيد محمد أفندي المرادي(٧٨)، دامت فضائله، وقديماً في جملة حقوق دار سيدنا المولى المشار إليه التي ابتداء الدخلة المرقومة البوابة الواقعة بالزقاق المرقوم، وانتهاؤها باب دار السيد محمد أفندي المشار إليه، في غالب الأوقات يأتي بعض أشقياء من الرجال من، أهل الفسق والفعل القبيح إلى الدخلة المزبورة ببنات الخطأ من النساء، ومن فواحش الغلمان، واتخذوا المحل المرقوم مجمعاً ومحلاً لتعاطي الفعل القبيح ممن ذكر من النساء، والغلمان، وأنه لم يمكن الجار والمار دفع ذلك، ويخشى من بقاء الدخلة المزبورة على الجار والمار في المحلة المرقومة من وقوع جرامة بهم، أو قتل أحد منهم، ممن يوجد بالدخلة المزبورة من أهل القبح والفساد الذين يأتون إلى المحل المرقوم لأجل فعل ما ذكر، فيترتب الضرر على الجار والمار بسبب ذلك، وإن في بقاء ذلك على الحالة المرقومة، ضرر(٧٩)، على أهالي الدخلة المرقومة وعلى عامة المسلمين ممن يمر بالزقاق المرقوم، والتمسوا جميعاً من الحاكم المشار إليه دفع هذا الضرر العام وإزالة هذا المنكر من بين أظهر المسلمين بسد بوابة الدخلة المرقومة ومنفذها لدفع الضرر، وهذا المحضر العظيم عن سكان المحلة المزبورة، وعن عامة المسلمين ممن يمر بالزقاق المرقوم، ولما في ذلك من الثواب في دفع هذا الضرر وإزالته؛ إذ المحل المرقوم في جوار الملك المشار إليه الذي الدعاء عند مرقده مستجاب، وفي جوار الجامع الشريف الأموي، والمدارس الساكن بهم أهل الذكر والصلاح، فأذن سيدنا الحاكم المشار إليه بسد البوابة المرقومة ومنفذها لدفع الضرر عن سكان المحلة المرقومة والمارين بها كما ذكر أمراً مرضياً عملاً بما أخبر به السادة العلماء، ممن ذكر بأعاليه كما حكته مطاويه، وأمر بتسطير ذلك فسطر وكما جرى في اليوم الخامس من شعبان لعام أربع وستين ومايه(٨٠) وألف.

شهود الحال

- الحمد ما تضمنته هذه الحجة المحمية من سدها ذرايع أهل الفساد وفتحها لشرايع ذوي الرشاد أمر مشهور كما في طيها مذكور، جزا ا من اختص بهذا الخير المقرر بنهيه عن هذا المنكر جزاء يفتح به أبواب النعم، وتجوز على الصراط المستقيم، فقد حسم بذلك الأحوال الشنيعة، المخالفة سبل الشريعة، بأمره بالمعروف وإزالة هذا المنكر الموصوف، سالكا بذلك أحسن

الفاضلية، وكانت المدرسة داراً للأمير أسامة بن منقذ، واتصلت بقبة صلاح الدين حتى صارت وكأنها إيوان لها. انظر: العلبي خطط، ص١٤٦؛ كرد علي، محمد، خطط الشام، ٦ج، مكتبة النهضة دمشق، ١٩٨٣م،ج٦، ص٨٤.

٧٧. لعلها دار احمد بن مصطفى بن أحمد باشا بن حسين بن إسماعيل بن برهان الدين الشافعي الدمشقي المعروف بالترزي. وكان أحمد باشا أمير الأمراء، وتولى إمارة اللجون وغيرها، المرادي، سلك، ج٤، ص١٦٦-١٦٧.

٧٨. هو محمد بن مراد الحسني النقشبندي الحنفي البخاري الأصل الدمشقي وهو جد المؤرخ محمد خليل المرادي، ولد بالقسطنطينية بسبب وجود والده بها سنة١٠٩٤هـ/١٦٨٢م توفي في دمشق العام ١١٦٩هـ/١٧٥٥م ودفن في بيته في حي سوق ساروجة بدمشق. انظر: المرادي، سلك، ج٤، ص١١٥.

٧٩. الصواب ضراراً.

٨٠. الصواب ومائة.

المسالك، إذ لا يمكن إلا بذلك، ونالو[٨١] بهذا المعروف الذي منهم معروف من الخيرات جلها وكانوا أحق بها وكانوا أهلها، أمدنا بإمدادهم، وأسعدنا بإسعادهم وبمرادهم، وا سبحانه الهادي، وعليه اعتمادي.

كتبه الفقير حامد العمادي

بدمشق الشام عفى عنه[٨٢].

- الحمد تعالى نحمدك. اللهم على نفوذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجره على يد من شَفَعتَهم[٨٣] بذلك، وهذا أمر نهي، وصلى ا على سيدنا سيد السادات.

كـتبه الفقير محمد العمادي عفي عنه[٨٤]

- ما حواه هذا الصك الشرعي. أمر وقع عليه الاتفاق، وشهادة كل من يشهد به خالية عن الرياء والنفاق، واشتهاره اشتهار الشمس في رابعة النهار، وأنه مأوى أهل الفسق وموطن الأشرار، فجزا ا الساعي به خيرا كثيرا، وأناله من فيض وابل كرمه حمدا عزيزا ما تُلي قوله تعالى:{.إنما يريد الله لِيذْهِب عنكُم الرجس أَهلَ الْبيتِ ويطَهركُم تَطْهيراً}[٨٥]

حرره العبد الفقير إلى رحمة مولاه على الحسيني العجلاني النقيب بدمشق الشام غفر له[٨٦].

- وقفت على ما تضمنته هذه الحجة الشرعية، من إثبات ما هو واضح مشهور بين البرية من المنكر القبيح الذي كان على باب الجامع الأموي، بشهادة الجميع، وهو وقوف أهل الفساد في هذا الطريق من غير حياء ولا احتشام مع النساء الأجانب على حالة لا يرضاها أهل الإسلام. فجزا ا خيراً من أزال هذا المنكر بسد هذه الأبواب وأثابه على ذلك جزيل الثواب، وأناله ما نرجوه

٨١. الصواب ونالوا.

٨٢. حامد بن علي بن إبراهيم الدمشقي العمادي، تولى افتاء دمشق بين عامي ١١٣٧-١١٧١هـ/١٧٢٤-١٧٥٧م واخذ عن علمائها، له فتاوى تقع في مجلدين وعدة مؤلفات. المرادي،سلك ج٢، ص١١-١٩؛ ابن كنّان، الحوادث ص ٣٦٥، المرادي، محمد خليل، عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، ط٢، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٨ ص١٢، المجهول، ذكر دمشق الشام، ق٢٩؛ العمادي، حامد بن علي(ت: ١١٧١هـ/١٧٥٧م) صلاح العالم بإفتاء العالِم، ط١، تحقيق علي عبد الحميد، دار عمار، عمان ١٩٨٨.

٨٣. أشكر الزميلين د. عصام العقلة ود. يوسف بني ياسين على مساعدتهما في توضيح هذه المفردة الصعبة القراءة في الأصل.

٨٤. محمد بن إبراهيم الدمشقي العمادي، تولى إفتاء دمشق خلال الفترة ١١٢٠-١١٣٠هـ/١٧٠٨-١٧١٧م، ودرس في المدرسة الظاهرية وكان نائباً في محكمة الباب. توفي سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م. انظر: المحبي، نفحة، ص٥٥٤ ابن كنّان، الحوادث، ص٢٨٩؛ المرادي، عرف، ص٩٧.

٨٥. الأحزاب، الآية٣٣.

٨٦. علي بن حسن بن حمزة الحسني العجلاني، الدمشقي أحد أعيان دمشق ونقيب أشرافها، تولى نقابة الأشراف سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، وتولى عدة وظائف تدريسية، وكانت له إقطاعات بطريق المالكانة، انظر: البديري حوادث، ص٢٩؛ ابن كنّان، الحوادث ص ٥,٣، المرادي، سلك ج٣، ص٢٠٦.

من مواهب المنة، وفتح له، أطال الله عمره، طريقاً في الجنة.

كتبه الفقير محمد بن الغزي المفتي

الشافعي بالشام عفى الله عنه(٨٧)

- صك ما في الموصوف من حالٍ محتوٍ على دفع المفاسد، ورفع المكايد، ليس في فحواه حلال؛ لأن الضرر زال، فطوبى لمن سعى وأراد سد باب الفساد، فتح الله تعالى أبواب مراده، ومنح فيض فؤاده وبراه(٨٨).

ذكره الفقير إلى ألطاف مولاه عيسى بن عبدالله قاضي بدمشق(٨٩) المحروسة دامت محمية ومحروسة غفر له.

- الحمد لله نحمدك اللهم على ما أجريت من الخير العظيم، على يد مشيخة أساطين الفضل وفرايد الفخر الجسيم، بمباشرته لإزالة المناكر من جوار عباده الصالحين، فلا برح في حراسة الملك الحق المبين، مؤيدا بحركاته السعيدة، موفقا بآرائه السديدة.

كتبه الفقير عبد الرحمن بن عماد الدين غفر له(٩٠).

- صك جرى على صفحاته يراع التسديد والتوفيق، ووقع الاستحسان عليه من زمرة مهرة التوفيق، فلا جرم أن كتب بأثر دره الثمين، كاتب الحسنات باليمين، وصدوره [نر أن]؟(٩١) كتب لذمتهم أحد الخليفتين في العباد وشمس الهداية والإرشاد والمراد فكم دراء(٩٢) الله بهم مفاسد وأنال المسترشدين بهم أنفع المقاصد، وما برهاني على فضل جميع الثقلين شاهد.

حرره الفقير اليه عبد الرحمن

الحسيني الحسني الصديقي الكيلاني(٩٣).

- الحمد لله تعلق نظري فيما تضمنه هذا الكتاب، من دفع شر أهل الفساد عن الجار والمار وإرشادهم للصواب، فإنه أمر مشهور، ولا يعني عمن له أدنا شعور، فجزا الله الساعي بهذا الخير

---

٨٧. محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين الغزي الشافعي(ت:١١٦٧هـ/١٧٥٣م) مفتي الشافعية بدمشق، كان مهتما بالتاريخ والأنساب وتراجم الرجال، ولد بدمشق سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م، أخذ عن شيوخ دمشق ومنهم أبو المواهب الحنبلي وعثمان الشمعة وقرأ على الشيخ محمد الخليلي لما زار دمشق تولى إفتاء الشافعية ودرس بالمدرسة العمرية مع الإفتاء. انظر: المرادي، سلك، ج٤، ص٥٥؛ مجهول، رسالة فيمن تولى، ق٤٢ب.

٨٨. أشكر الزملاء د نوفان السوارية و د عصام العقلة ود يوسف بني ياسين على مساعدتهما في توضيح نص هذا التعليق.

٨٩. عيسى زاده بن عبدالله، تسلم القضاء في دمشق سنة ١١٦٣ هـ/١٧٤٩م من القاضي مصطفى زاده أحمد أوغلي زاده، مجهول، رسالة فيمن تولى، ق ٢٧؛ البديري، حوادث ص ١٣٩.

٩٠. عبد الرحمن بن علي بن إبراهيم العمادي الدمشقي، ولد سنة ١١١٩هـ/١٧٠٧م، وتوفي سنة ١١٧٥هـ/١٧٦٢م، انظر: الحافظ، وأباظة، علماء دمشق، ص٢٠٤.

٩١. غير واضحة في الأصل

٩٢. والصواب درأ

٩٣. عبد الرحمن بن عبدالقادر بن إبراهيم الكيلاني الحنفي القادري، نزيل دمشق وأحد أعلامها وأعيانها ولد بحماة سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م وتوفي سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م، تولى النقابة وعمل بالتدريس، انظر: المرادي، سلك ج٣، ص ٢٦٤.

العظيم السعادة مع طول العمر في الدنيا والفوز بجنات النعيم.

كتبه العبد الفقير إلى بر ربه الغني

محمد سعيد المحاسني[٩٤].

- الحمد قد وقفت على ما حوته هذه السطور، وما حوته من دفع المنكر من أهل الشرور ودعوت إلى الساعي بالعناية من ا والتوفيق.

كتبه العبد الفقير

أحمد العمادي غفر له[٩٥].

- قد جلت نظري بهذه الصحيفة المجلية بأنوارها الشريفة لظلمة أهل الفساد، أدام ا الساعي بها نفعاً للعباد، وإرشادهم سبيل الرشاد، على السنن[٩٦] الحقيقي.

كتبه الفقير أسعد الصديقي[٩٧].

رابعا: معطيات الوثيقة

وفقا لمعطيات الوثيقة، لدينا معلومات جديدة عن أسماء وشخصيات جديدة لها حضورها في المنطقة التي تعالجها الوثيقة، هذه الأسماء تضم علماء وأعيان وشيوخاً ومجموعة من سكان محلة "الملك الظاهر بيبرس"، كما أن الوثيقة تقدم بعض الأسماء بوظائفهم وحرفهم التي كانوا يعملون بها في الجامع الأموي، هذا إلى جانب منظومة الألقاب التي وردت في الوثيقة بما تعكسه من دلالات اجتماعية تكشف عن طبيعة بنية المجتمع من خلال الوثائق، كما أن هذه الألقاب تكشف التفاوت في سلم التراتب الاجتماعي، وفي محددات الانتماء للأفراد داخل الجماعات.

في مبتدأ الوثيقة نجد مصطلحات عدة منها: "العلماء العظام" و"الأفاضل السادات والصلحاء" و"الأعيان الكرام"، و"سكان محلة المرحوم الملك الظاهر بدمشق" وهو ما يعزز ما ذهب إليه بعض الباحثين حول البنى الاجتماعية التي تؤثر في مجتمع مدينة دمشق[٩٨].

---

٩٤. محمد بن سعيد أحمد المحاسني، لا تذكره كتب التراجم، وأشار المرادي إليه بأنه تولى خطابة الجامع الأموي، في معرض ترجمته للشيخ أحمد بن علي المنيني بقوله "وصار بينه وبين الخطيب محمد بن سعيد أحمد المحاسني المجادلة في ذلك.." ويشير إليه السجل الشرعي في وظيفة الخطابة، انظر: المرادي، سلك ج١، ص ١٣٦. سجل ٧٨، حجة ٢٢، ص١، ٢٢ ربيع الأول ١١٦٣هـ/١ آذار ١٧٥٠م.

٩٥. لم تذكره التراجم لكن السجل الشرعي يشير إلى أنه كان يعمل بوظيفة معيد بالمدرسة الظاهرية، سجل ١٣٧، حجة ١٣٢، ص٤٢، ١٤ ذي القعدة ١١٦٦هـ/١٢ أيلول ١٧٥٣م.

٩٦. أشكر الزميل د. عصام العقلة على توضيح الكلمة الصعبة القراءة في الأصل. ومعنى السنن هنا الطريق.

٩٧. أسعد بن أحمد بن كمال الدين البكري، الصدغي الحنفي الدمشقي كان أحد أعيان دمشق، ووصفه المرادي بأنه "مقبول الشفاعة عند الحكام". ولد سنة ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م كانت له وظائف كثيرة المرادي، سلك، ج ١ ص١. ٢٢٥٠-٢٢٦.

٩٨. من هذه الدراسات التي عالجت المكونات الاجتماعية وأخذت بمبدأ التقسيم الطبقي في دمشق، دراسات اندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر، القاهرة ١٩٩١م. ودراسة إيرينا سيملنيسكايا، البنى الاجتماعية والاقتصادية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ط١، ترجمة يوسف عطا ا ، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م. ودراسة عبد الغني عماد، السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر، ط١، دار

وتقدم الوثيقة معلومات عمرانية عن الحيز المكاني الذي ظهرت فيه المشكلة وتحدده بدقة؛ إذ جاء الوصف للمكان وفقاً للوثيقة على أنه:

دخلة ← في محلة الملك الظاهر بيبرس ← ضمن زقاق المدرسة العزيزية ← مقابل دار ابن الترزي بين مدفن الملك صلاح الدين والدور التي هي في جملة دار السيد محمد أفندي المرادي

أما القضية التي تثيرها الوثيقة، فقد تم تشخيصها على أنها "سلوكيات" منافية لقواعد الشرع والدين، واستدعت الحضور عند القاضي وعرضها عليه، ليتخذ حيالها الإجراء المناسب. وقد أوضحت الوثيقة رد الفعل على الاحتجاج، فقد استجاب القاضي لمطالب أهل المحلة التي أيدتها آراء أهل العلم والأعيان والعاملين في المناصب الدينية العليا في دمشق.

تكشف الوثيقة عن الدور الذي كان يضطلع به العلماء من أرباب الوظائف الدينية العليا في مركز ولاية الشام، وهو مدينة دمشق، إذ وفرت التعليقات التي ذيلت بها الوثيقة وكتبها كل من: قاضي قضاة دمشق، ومفتيها، وخطيب جامع بني أمية، ونقيب الأشراف وغيرهم من كبار العلماء معلومات عن الدور الذي كان يقوم به العلماء في الهيكل العام للمجتمع الدمشقي بوصفهم وسطاء طبيعيين بين الرعايا المرتبطين بهم بحكم نشأتهم، وبين السلطة السياسية أو الدينية التي كانت تحتاج إليهم كمعاونين في مجال تطبيق العدالة والحكم، وفي ذلك تأكيد الدور الوظيفي للعلماء والفقهاء والأعيان باعتبارهم أحد دعائم الشريعة، ومفسريها، وأحد ركائز السلطة التي تضبط إيقاع المدينة.

ومع أن الوثيقة قدمت صورة واضحة عن الإجراءات العملية التي تتخذها السلطة ممثلة بقاضي الشرع حيال تطبيق أمر الشريعة بناء على طلب مباشر وواضح من الطرف المدعي، إلا أنها تكتفي بإظهار الطرف المنتصر في القضية المعروضة، على خلاف نماذج أخرى من الحجج الشرعية المتصلة بهذا النوع من القضايا والتي عرضت أمام قضاة المحاكم.

ويبدو من خلال الوثيقة أن أمر الشريعة، يظل أكثر غموضاً؛ فمع أنها – أي الوثيقة- تؤكد حصول "الطرف المدعي" على آراء فقهية تعضده من قبل العلماء والأعيان الموقعين على الوثيقة بتعليقات تؤيد "إزالة الضرر"، بما يحقق العدالة، ويزيل المعاصي، وهي تقيد أسماء الطرف المدعي كاملة، فإن "أهل الفجور" كما وصفتهم الوثيقة لم تورد أسماؤهم، ولم يشر إلى أي منهم.

وتمكننا الوثيقة من الوصول إلى استنتاجات واضحة، تؤكد الأهمية التي اكتسبتها الشخصيات الدينية في مدينة دمشق في القرن الثامن عشر، باعتبارها ممثلة للرأي العام ولسان حاله في مواجهة انعدام تطبيق أوامر الشريعة، التي غابت بفعل ضعف السلطة، وهو ما جعل بعض المجاميع الاجتماعية من العلماء والأعيان وبسطاء الناس يمارسون دورهم في التأثير على مجريات الحياة اليومية.

النفائس، بيروت ١٩٩٣م. ودراسة وجيه كوثراني السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

وعلى الرغم من أن الوثيقة تقدم، العلماء والأعيان - باعتبارهم وسيطا بين طرفي الحكم – الرعايا والسلطة- إلا أنها لا تحجب دور الرعايا، أو من سمتهم بـ "أهل المحلة" باعتبارهم المتضررين من فساد الأخلاق وانعدام الأمن، وفي ظل ندرة الدراسات التي تتحدث عن دور "أهالي البلد" أو الرعايا، فإن مثل هذه الوثائق، تتيح للقارئ القليل من المعرفة عن العلاقة بين الرعية والنخبة الثقافية والسياسية في المدينة العربية على نحو عام ودمشق على نحو خاص.

ولعل مثل هذه الحركة المزدوجة للعلاقات بين الطبقة الحاكمة والرعايا والنخبة في المدنية، قد تدفع الباحثين إلى إعادة النظر بالتصور التقليدي النظري القائل بوجود تقسيم للمجتمع إلى طبقات أو مجاميع منفصلة لا يمكن عبور الحدود القائمة بينها. وعلاوة على ذلك ، فإن هذه الوثيقة تقدم إشارات واضحة إلى توحد مجتمع "الحارات أو المحلات" بكافة مجاميعه السكانية أمام الأحداث العامة.

خلاصة

بينت الدراسة تعدد أشكال الفساد الاخلاقي واختلاف المواقف منه وبخاصة ولاة دمشق، وأوضحت أن السلطة الاخلاقية والدينية ممثلة بقاضي الشرع استجابت لمطالب سكان محلة الظاهر بيبرس، بما تضمنته الحجة الشرعية من توقيعات مؤيدة لمطالب سكانها والتي جاءت موقعة من قبل العلماء والأعيان من أصحاب الوظائف الدينية العليا في دمشق، وهذا ما يظهر بوضوح أهمية الدور الذي قام به وجهاء المدنية وعلمائها في حل مشكلات مجتمعهم.

ويمكن القول إن الوثيقة تمثل سجلا للنفوس من سكان وعائلات زقاق المدرسة العزيزية في محلة الملك الظاهر بيبرس، كما انها تمدنا بأسماء شخصيات وعلماء ووجوه محلية لم تأت كتب التراجم في تلك الحقبة على ذكر لها. وعند ملاحظة منظومة التسميات الخاصة بالعائلات الوارد ذكرها في نص الوثيقة يمكن ان نستشف بعض الاشارات عن مستوى النفوذ الاجتماعي والحرف والصنائع التي كانت تختص بها تلك الجماعات، فنجد ذكرا لاسماء عائلات مثل القتال والسقاميني والشعال والاسطواني والترزي والشيخبندر والقطان، وغيرهم، كما نجد اسماء لوجهاء تعكس القابهم طبيعة انتمائهم امثال "البشة" ومنهم احمد آغا بن علي بشه والسيد عمر جلبي بن إسماعيل بشة، وهؤلاء شكلوا عينة من العسكريين الذين اندمجوا في مجتمعاتهم المحلية ويبدو انهم مع مرور الزمن غدو جزءا من أعيان محلة الظاهر بيبرس، علما بأن التسمية "بشة" توحي بأنها متحولة من باش آغا، وهناك عدد من الآغوات الممثلين في الوثيقة إلى جانب بعض الاعيان من العلماء وشيوخ الصوفية، ومما يثير الانتباه في الوثيقة هو تدخل رؤساء التجار في المحلة المشار إليها في الشكوى من فساد الأخلاق، وهما مصطفى آغا بن الحاج بكر الشيخبندر في فترة الشكوى، ومصطفى آغا الشيخبندر السابق، وهو ما يكشف عن دور معارض للتجار تجاه انتشار فساد الأخلاق خاصة وأن تلك المنطقة المحيطة بالجامع الأموي تنتشر بها أسواق كثيرة.

وبذلك فإن قيمة الوثيقة التي هي محل اهتمام هذه الدراسة تبدو في تميزها عن وثائق السجل الشرعي الأخرى المتصلة بالفساد الاخلاقي لكونها قدمت عددا كبيرا من الاسماء التي يمكن ان

تمدنا بمعلومات عن البنية الاجتماعية والاقتصادية والنسيج المديني لمحلة الظاهر بيبرس من خلال الأسماء الواردة فيها، وربما تكون طبيعة التركيب الاجتماعي لمحلة الظاهر بيبرس وقربها من الجامع الأموي ومراكز الأسواق، سببا في إيلاء القاضي الشرعي أهمية استثنائية لهذه الشكوى عبر عرضها على مجموعة من العلماء ورجال الدين والوجهاء الذين أيدوا حكمه بانهاء مظاهر الفساد الاخلاقي في المكان المشار إليه في الوثيقة.

ومن نتائج الدارسة انها تقدم معلومات عن خطط المدينة ومرافقها، ومنها المساجد والمدارس التي تم ذكرها في الشكوى، أو في الأخبار التي وردت عن مظاهر الفساد في المصادر المختلفة، فمنطقة "الحقلة" في حي الميدان التحتاني جنوب دمشق لم يرد ذكرها قبل القرن السابع عشر باعتبارها محلة مستقلة، بل اشير إليها كمنطقة يجتمع بها مجموعة من التركمان، في حين اشارت الوثائق التي رصدتها الدارسة بأنها باتت محلة جديدة في القرن الثامن عشر وفيها ازقة معروفة باسماء محددة، وهذا ما يمكن أن يعد من النتائج الحضرية والعمرانية التي تقدمها دراسة المظاهر الاجتماعية المعتمدة على الوثائق.

A Complaint of Żahir- Bibars *Mahallah* in Damascus in Connection with Moral Corruption

Mohannad al- Mubaidin*

ABSTRACT

This study attempts to evaluate a rare document that dates back to Tuesday, the fifth of Sha'ban 1164 AH, (29 June 1751). The document is a complaint reported by the Al-Żahir-Bibars *Mahallah* quarter to Damascus Judge, regarding moral corruption in the town. Its significance lies in demonstrating the process undertaken in this case, and the role of learned people in such issues; in addition it deals with the measures adopted by the Judge and theologians who supported the demands of the *Mahallah*. The document also presents issues of social importance.

The study consists of an introduction, three chapters and a conclusion.

KEYWORDS: Żahir-Bibars Mahallah, Damascus, Educators, Morals.

* Associate Professor of History at the University of Jordan.
Received on 11/8/2011 and accepted for publication on 15/12/2011.